نظرة عقدية في أحكام العدوى : فيروس كورونا "كوفيد 19" نموذجا

Doctrine thinking at the provisions of contagions Corona virus "Covid 19" model

د/ خالد محجوب*

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، خروبة –الجزائر
k.mahdjoub@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/25 تاريخ القبول: 2021/06/05 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص:

فيروس كورونا "كوفيد 19" مرض قاتل، له قدرة رهيبة على الانتشار والانتقال بين الناس، تم تناوله بالدراسة والتحليل من مناحي مختلفة: طبية واقتصادية وقانونية وإعلامية، وفي هذا الموضوع سنتناوله بالدراسة والتحليل من الناحية العقدية، لنجيب على إشكالات وأسئلة تتعلق بأحكام العدوى في العقيدة الإسلامية، وأخرى تتعلق بقانون السببية وما نراه في الكون من توافقات بين المقدمات والنتائج وبين الأسباب ومسبباتها، لنكتشف القانون الذي يحكم تلك التوافقات من وجهة نظر الدرس العقدي، بالإضافة إلى أن عرض الموضوع من وجهة نظر الدين ممثلا في عقيدة الإسلام التي يدين بها الشعب الجزائري، تزيد من درجة استعداد المجتمع للالتزام بحزمة التوجيهات التي تتخذها الدولة الجزائرية من أجل السيطرة على الفيروس والحفاظ على صحة الجزائريين وأرواحهم.

الكلمات المفتاحية: العدوى؛ كورونا؛ قانون السببية؛ العقيدة الإسلامية؛ حفظ النفس.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Corona virus "Covid 19" is a fatal disease, which has a terrible ability to spread and transmit between people, it has been studied and analyzed in various aspects: medical, economic, legal and media, and in this search we will address it in study and analysis from the Faith side, to answer problems and questions related to the provisions of infection in Islamic doctrine , and others related to the law of causation and what we see in the universe from the conciliations between the introductions and the results and between the causes and their causes, to discover the law that governs these consensuses from the point of view of the doctrinal lesson.

Keywords: contagions; Corona; Causality; Islamic doctrine; Self-Preservation .

مقدمة :

يعتبر فيروس كورونا "كوفيد 19" مصيبة ألمت بالبشرية جمعاء، وقد تناولها الناس بالدراسة والتحليل من منطلقات مختلفة، طبية واقتصادية وقانونية وإعلامية وهلم جرا، وقد رأيت من منطلق تخصصي في العقيدة والفكر الإسلامي، أن أدلو بدلوي في هذا الموضوع الهام ذلك " أن الإسلام عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وكل هذه الأجزاء رامية إلى غرض واحد، وهو إصلاح نفس الفرد الذي هو أصل لإصلاح النفسية الاجتماعية" بل إن عرض الموضوع من وجهة نظر الدين ممثلا في عقيدة الإسلام التي يدين بها الشعب الجزائري، تزيد من درجة استعداد المجتمع للالتزام بحزمة التوجيهات الإعلامية والتشريعات القانونية والقضائية والاقتصادية، التي تتخذها الدولة الجزائرية من أجل السيطرة على الفيروس والحفاظ على صحة الجزائريين وأرواحهم، كيف لا ونحن نعلم أن من أهم مقاصد الشريعة السمحاء مقصد الحفاظ على النفوس والأرواح بتشريع ما يحفظ لها استمرارها ويقيها من الهلاك والفساد .

ومن ناحية ثانية فإنه وفي ظل الظروف الراهنة التي نرى فيها الفيروس يفتك بالآلاف من الناس يوميا عبر العالم، تجد من يستهتر بالأمر ولا يكترث بإجراءات الحجر الصحي والسلامة المجتمعية، وربما يحتج بمثل قوله تعالى: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" [التوبة 51] أو بقول النبي ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة" ويحتج بأن إرادة الله غالبة وأن شيئا لم يرده الله لا يمكن أن يقع، وأن الاعتقاد بوجود العدوى يدخل في باب الشرك في ربوبية الله عز وجل... والمشكلة أنه يعتقد أنه على صواب وكل من يعتقد بخلاف رأيه فهو على خطأ، وهذه مشكلة تحتاج إلى حل، وبيان حتى لا يُتخذ الدين مطية لكل مستهتر وجاهل. ومن أجل ذلك رأيت أن أنجز مقالا عنوانه: "نظرة عقدية في أحكام فيروس كورونا "كوفيد 19" أحاول من خلاله أن أحرر مساحة للكلام في المسألة من منطلق إيمانيٍّ، وأجيبُ فيه على الاشكالات المعرفية التي لها علاقة بالموضوع، ومنها: هل ما أقرته الدولة من قوانين وما فرضته من إجراءات للحفاظ على سلامة المواطنين له ما يسوغه من الناحية الدينية؟ وما موقف الدرس الأصولي من قضية المحافظة على النفوس البشرية بالوسائل المتاحة ؟ وما الحكمة أصلا في خلق ما يراه بعض الناس (معوقات) القيام بحركة الاستخلاف في الأرض كالزلازل والبراكين والمجاعات والأوبئة الفتاكة؟ وكيف يمكن التعامل الصحيح مع النصوص الدينية المتعلقة بأحكام العدوى والتي يوهم ظاهرها التعارض ؟ وما مدى قوة التفسيرات الدينية التي ربطت ظاهرة "كوفيد 19" بالعقاب الإلهي، أمام التفسيرات التي جعلت منها حربا بيولوجية بين القوى المتصارعة على زعامة العالم في القرن الواحد والعشرين ؟

أعتقد أن البحث الذي بين أيدينا يحمل إجابة مفصلة لهذه الأسئلة، وغيرها من الإشكالات المتضمنة فيها، ولتحقيق ذلك اقتضى منا المقام تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول ونتناول فيه قضية الدين ومقصد حفظ النفس البشرية، والمبحث الثاني ونخصصه للحديث عن تجليات الحكمة الإلهية في خلق الشرور والمصائب، وأما المبحث الثالث فإننا سنعرض فيه دراسة عقدية لأحكام المرض والعدوى، ونتناول فيه قضية المقاربة بين ما سنته الدولة من قوانين صحية وأمنية للحفاظ على سلامة المواطنين وما أقرته أحكام الشرع الحنيف من أحكام دينية في هذا المجال، هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

المبحث الأول : الدين ومقصد حفظ النفس البشرية :

يقسم العلماء المقاصد الكلية المحكمة التي جاء دين الإسلام لحفظها إلى خمسة مقاصد[1]، منها مقصد حفظ النفس ومعناه تشريع الأحكام التي يؤدي الالتزام بها إلى صيانة نفوس الناس ماديا وتزكيتها معنويا، وكلا الأمرين مطلوب تحقيقه بوصف الإنسان مخلوقا مكونا من المادة والروح، ومن صور الصيانة المادية للنفوس تشريع التداوي من الأمراض بالأدوية التي يخترعها الإنسان وتثبت نجاعتها، وتحريم ما فيه ضرر راجح من الأدوية والعقارات وفقا للقاعدة الواردة في حديث النبي ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"[2]، ومن صور هذه الصيانة أيضا الأمر باتباع أوامر وتوجيهات أهل الاختصاص من الأطباء والصيادلة فيما يخص سلامة البدن وحمايته من الأوبئة والأمراض، وهو ما نستشفه من قوله تعالى مثلا : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل 43] وقوله ﷺ : " إنَّ الله عزّ وجلّ أنْزَلَ الدَّاءَ والدَّواء، وجَعَلَ لِكُل داءٍ دَوَاءً، فَتَداووا، ولا تَدَاووا بحَرَام"[3].

أما صور الصيانة المعنوية للنفوس فهي أيضا كثيرة، ومن أعظمها تشريع التوحيد وتحريم الشرك والآيات في هذا كثيرة جدا منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات 56]، وجاءت سنة النبي ﷺ مفصلة لدرجات هذه الصيانة حثا للناس على بذل الجهد لتحقيق أرقى درجات حفظها والنأي بها عن الأمراض المعنوية التي يمكن أن تصيبها كالشرك والكفر والنفاق والرياء، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن من صور التداوي التي يأتيها بعض الناس اليوم ما يدخل في باب الشرك بالله، وهو ما يعرف بالسحر والكهانة، والمشكلة أن هؤلاء الناس يفتنون بما يروه من شفاء الأمراض بعد الذهاب إلى هؤلاء السحرة والمشعوذين، وينسوا أن الله عز وجل قد جعلهم فتنة ليبتلي عباده ويجازيهم على أفعالهم، وفي هذا قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: 102]، وإذ حرم الله السحر والكهانة فقد شرع لنا الرقية الشرعية بالقرآن الكريم والأدعية الصالحة والمأثورة، ففي صحيح البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : «أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ أَنْ يَرْقُوا مِنَ الحُمَةِ وَالأُذُنِ»[4] والحُمَة هي الإصابة بسم العقرب، والأُذُن هي وجع الأذن أو الأذنين، وفي هذا دليل على جواز الرقية بالأدعية وقراءة القرآن لكل الأمراض المادية والنفسية، لأن الرقية دعاء والدعاء بكلام الله وما صح وجاز من الأدعية

المأثورة وغير المأثورة إذا صدر من قلب مليء بالإيمان والتقوى، نافع بإذن الله تعالى ولا يقوم له مرض مهما صعب أو استعصى على العلاج .

قال ابن حجر : "وقد استشكل بعض الناس الدعاء برفع الوباء لأنه يتضمن الدعاء برفع الموت والموت حتم مقضي فيكون ذلك عبثا، وأجيب بأن ذلك لا ينافي التعبد بالدعاء، لأنه قد يكون من جملة الأسباب في طول العمر أو رفع المرض، وقد تواترت الأحاديث بالاستعادة من الجنون والجذام وسيء الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره لما فيه من الخضوع والتذلل للرب سبحانه، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالا على ما قدر فيلزم ترك العمل جملة، ورد البلاء بالدعاء كرد السهم بالترس وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يتترّس من رمي بالسهم"[5] .

ولا يخفى علينا في نهاية هذا المبحث أن نشير إلى أن ما رأيناه من صور التضامن الاجتماعي بين أبناء الجزائر من أقصاها إلى أقصاها، يعود إلى ما بنته عقيدة التوحيد في نفوسهم من قيم اجتماعية نبيلة، نلتمسها في الشعور الاجتماعي الموحد كوحدة الجسد الذي إذا تألم فيه عضو سرى الألم إلى باقي الأعضاء، فتتداعى له بالسهر الحمى، ونلتمسها في الإيثار وبذل المال والمؤونة للمتضررين من فيروس كورونا، وكنا قد تابعنا عبر وسائل الإعلام تلك القوافل التضامنية التي انطلقت من ربوع وطننا الحبيب صوب المناطق المتضررة والمحتاجة، ولسان حال ومقال أصحابها ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [الإنسان 9] فما الذي نما تلك الروح من المسؤولية تجاه الآخرين في نفوس هؤلاء التجار والمواطنين؟ إنها العقيدة الإيمانية التي يحملونها بين جوانحهم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧ ﴾ [البقرة 207] . لقد ذابت بفعل هذه الروح الإيمانية كل الروابط العرقية والجهوية والنسبية وانصهرت في بوتقة الجزائر الموحدة بوحدة العقيدة الإسلامية، التي تمثل أرقى قيم الإنسانية وأجداها عند حلول المصائب والمحن .

المبحث الثاني: تجليات الحكمة الإلهية في خلق الشرور والمصائب :

الله عز وجل خلق الإنسان ليستخلفه في الأرض، وهذا يقتضي أن يهيئ له أسباب الحياة، ويحفظه من أسباب الهلاك، قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[هود 61]، ولكن اقتضت حكمة الخالق عز وجل أن تكون هذه الحياة مشوبة بما يكدر صفوها فلا هي نعيم دائم ولا هي عذاب مستمر، وذلك تمييزا لها عن دار القرار، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك 2] .

ولقد عرفت البشرية منذ الإنسان الأول صورا كثيرة من الابتلاءات والمصائب، بسبب طغيان الناس وابتعادهم عن منهج الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم 41] وهذا لا ينفي أن تكون هذه الابتلاءات مما يدخل في باب تعظيم الثواب وزيادة الأجور ورفعة المنازل عند الله عز وجل، وكل واحد يعلم في خاصة نفسه إن كان من أهل العقوبة أو من أهل المثوبة، قال الله عز وجل : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة 14، 15]. والسؤال الأهم في المبحث : هل خلق الشرور والمصائب لا يتنافى مع وظيفة الإنسان في الدنيا وهي عمارة الأرض والعيش فيها بأمن وسلام ؟ وما تجليات الحكمة الإلهية في ابتلاء الناس بالشرور والمصائب ما داموا سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة ؟

تناول العلماء هذا السؤال بالبحث والجواب وكانت كلمتهم مجمعة على أنه لا تنافي بين وظيفة الإنسان في الأرض ووجود هذه الشرور والمصائب، بل الحق أنها تعد جزءا من وظيفة الإنسان، لأن كل وظيفة لا بد لها من المعوقات وأسباب التعب، وهذه المعوقات وإن كانت في ظاهرها شرورا إلا أنها ليست شرورا محضة، لما فيها من فوائد عظيمة للإنسان، قال ابن الوزير اليماني في موضوع الحكمة من خلق الشرور: "من ذلك: أن المحاسن لا تُعرف إلاَّ بأضدادها، فلا يعرف قدر العافية إلا بالألم، ولا قدر الراحة إلاَّ بالنصب، ولا قدر الغنى إلاَّ بالفقر، ولا قدرُ الآخرة إلاَّ بما تقدمها من الدنيا والبرزخ والموقف، ولا قدر نعمة الهداية إلاَّ بوجود أهل الضلالة، حتى قال بعض المعتزلة : إن حقيقة اللذة هي الخروج من مؤلِمٍ، وإلى ذلك الإشارة بنحو قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [البقرة: 257]... وفي هذا ظهور اشتمال الشر على الخيرات، وشُهِرَ ذلك بين العقلاء، وأجمع العقلاء من المسلمين والفلاسفة أن الموجود في الدنيا، إما خيرٌ مَحْضٌ كالملائكة والأفلاك، أو الخير فيه غالبٌ كالنار فيها خير كثير والمقتضى بالذات خير والشر واقع بالتَّبَع "[6].

وفلسفة الحياة تقوم على مبدأ أنه يمكن أن تنجر عن الأمور النافعة مفاسد، لذلك منع الله عز وجل عن عباده كثيرا من الأشياء التي يعتقدون فيها الخير لأنفسهم، لما تفضي إليه من الضرر لهم في علم الله عز وجل، وفي هذا المعنى نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ ﴾[الشورى 27]، وبالمقابل يمكن أن تنجر عن الأمور الضارة مصالح للإنسان في العاجل أو الآجل، لذلك ابتلى الله عز وجل عباده بالآفات والزلازل والأمراض، لما تفضي إليه من الخير لهم في علم الله عز وجل، وقد ابتلى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل بالأمراض والأوجاع وتسليط الأعداء، وكله شر في ظاهره، ولكنهم علموا واستيقنوا أن فيه من الخير ما الله به عليم، وخلاصة الأمر كله هو ما اقتضته حكمة الله عز وجل أن يبتلي الناس بالخير والشر، قال الله تعالى: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾[الأنبياء 35]، ولنأتي الآن على ذكر بعض الحكم والفوائد الكامنة وراء ما يراه الناس شرا لا خير فيه، والنبي ﷺ يقول : «مَا يُصِيبُ المسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[7] .

1/ القاعدة المقررة لهذا الأصل أن فعل الله عز وجل هو معيار الحكم على الأشياء، وليست الأشياء هي معيار الحكم على أفعال الله عز وجل، ولذلك إذا فعل الله عز وجل أمرا فهو خير، وإن كان في ظاهره الشر، وبعبارة أخرى: كل ما فعله الله فهو خير، أي أن فعل الله هو معيار الحكم على الأشياء وليس ما يصدره الناس من أحكام قاصرة نابعة عن جهلهم وقلة علمهم. وقد بين الله عز وجل أنه أخفى عن عباده علل أفعاله، ولم يمكنهم من الاطلاع عليها، وجعل ذلك بمثابة اختبار لمستوى التسليم الإيماني لديهم، فقال عز وجل : ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء،23] **ولهذا قرر العلماء أنه لَا يلْزم من عدم الِاطِّلَاع عَلَى علل أفعال الله عز وجل القَوْل بانتفائها فِي نَفسهَا**[8] .

2/ الحق أن الله عز وجل لم يخلق شرا محضا، وهذا معنى حديث النبي ﷺ في دعائه المشهور: "لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك"[9]، وقد ذكر العلماء عدة تأويلات وتوجيهات لعبارة "والشر ليس إليك" منها أن معناها والشر ليس شرا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين[10]، قال أبو حامد الغزالي : "الشر ليس شراً لذاته، بل هو من حيث ذاته مساو للخير ومماثل له، والقدرة على الشيء قدرة على مثله"[11] وقال الآمدي: "مَا من حَادث إِلَّا وَهُوَ مُضَاف إِلَى الباري تَعَالَى بِأَنَّهُ محدثه ومريد لَهُ، وَأَنه لَا خَالق إلا الله تَعَالَى، وَلَا مبدع إِلَّا هُوَ، وَأَنه لَا يجري فِي ملكه إِلَّا مَا هُوَ مُرَاد لَهُ، وَمن حَيْثُ هُوَ مُرَاد لَهُ لَيْسَ بشرٍّ، فَإِن تعلق الْإِرَادَة بِهِ إِنَّمَا هُوَ من جِهَة تخصيصه بالوجود دون الْعَدَم أَوْ الْعَدَم دون الْوُجُود، وَبِالْجُمْلَةِ من جِهَة تخصيصه بِبَعْض الأحوال دون الْبَعْض وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُوصف بِكَوْنِهِ شرا من حَيْثُ هُوَ كَذَلِك"[12] .

3/ لقد قرر العلماء في مقام البيان الخاص بعلاقة الخير بالشر وصلة هذه العلاقة بالوظيفة الوجودية للإنسان قاعدة مفادها أن فَوَات الْخَيْر الْكثير دفعا للشر الْيَسِير شَرّ كثير، والتزام الشَّرّ الْيَسِير رِعَايَة للخير الْكثير خير كثير[13]، ومن منطلق هذه القاعدة تم التعامل بحكمة منقطعة النظير مع كثير من المصائب والمشكلات التي تعتري حياة الناس بالبحث عن حلول لها من منطلق الموازنة بين قيمتي الخير والشر، ومما اجتهد فيه العلماء اليوم قضية إغلاق المساجد أمام روادها من المصلين بسبب جائحة كورونا، حيث تمت الموازنة بين ارتكاب أهون الشرين لتحقيق أعلى المصلحتين، فلما كان الابقاء على المساجد مفتوحة ذريعة لحصول مفاسد العدوى بفيروس كورونا، فقد صدرت الفتوى بإغلاقها حفاظا على سلامة المصلين وأرواحهم .

ونشير في هذا السياق إلى أن عملية غلق المساجد عند وقوع الأوبئة والأمراض المعدية لها سوابق في التاريخ الإسلامي، فقد ذكر ابن حجر أنه في سنة (728هـ) وقع بمكة وباء عظيم بحيث مات في كل يوم أربعون نفساً، وحصر من مات في ربيع الأول فكانوا ألفاً وسبعمائة، ويقال إن إمام المقام لم يصل معه في تلك الأيام إلا اثنين وبقية الأئمة بطلوا لعدم من يصلي معهم[14]، كما ذكر

ابن الجوزي في حوادث (449هـ) أنه قد وقع وباء عظيم بالأهواز، وبسببه خلت أكثر المساجد من الجماعات[15].

ولكن مع هذه الأدلة والتجارب التاريخية يبقى الأمر مثار اجتهاد بين فصيلين من العلماء أحدهما يرى وجوب إغلاق المساجد أمام روادها حفاظا على سلامة المصلين وأرواحهم، بينما يرى الفريق الثاني أنه لا ضرورة تدعو إلى الإغلاق الكلي للمساجد وتعطيل الجمع والجماعات، وأن هناك حلولا وسطى يمكن اللجوء إليها بلا خوف، خاصة وأن الأمر قد طالت مدته كثيرا، بالإضافة إلى ما نراه من عملية الفتح التي طالت الأسواق والمحلات ومحطات الحافلات والأماكن التي يكثر فيها اجتماع الناس واختلاطهم، فكيف يسوغ شرعا وعقلا التفريق بين متماثلين ؟

ولتفصيل القول في مسألة أحكام العدوى، وقوانين السببية وفقا لما قررته قواعد الدين، فقد خصصنا المبحث الثالث من هذه الدراسة، والذي اجتمعت لنا فيه نصوص ظاهرها التعارض، وقد أدت إلى اختلاف العلماء في تفسيرها وتوجيه دلالاتها نحو الرأي الذي يراه كل فريق راجحا لديه.

المبحث الثالث: دراسة عقدية لأحكام المرض والعدوى :

تضاربت مواقف الناس إزاء نصوص تشريعية تتعلق بالأحكام القيمية والذاتية في الأشياء التي خلقها الله عز وجل، وقد شكلت قضية العلاقة بين السبب والمسبب محور جدلية معرفية بدأت فصولها مع بداية خلق الإنسان ولم تنته إلى يوم الناس هذا، وقد شكلت مع قضية القدر وسؤال الجبر والاختيار قطبي الرحى لكثير من النقاشات والسجالات المعرفية التي دارت بين الناس من الملل والمذاهب الفكرية المختلفة، أو في الملة الواحدة والمذهب الواحد، تلك المناقشات والسجالات التي ألقت بظلالها على كثير من الممارسات الاجتماعية التي يلتقي عندها الناس بالموافقة أو المخالفة، وها هي تلقي بظلالها على موضوع الساعة، وباء "كوفيد 19" الذي تضاربت حوله الآراء عند جملة من القضايا الفقهية والتشريعية التي يرتبط جانبها النظري بالبعد العقدي والإيماني، كإشكالية ثبوت العدوى من عدمها بين المرضى والأصحاء، خاصة في ظل النصوص الحديثية المتعارضة في الظاهر، والتساؤل عن علاقة الأسباب بالمسببات والنتائج المترتبة عنها، وهل هي نتائج ضرورية أم احتمالية ؟ وفي هذا المبحث سنتناول هاتين القضيتين بشيء من التفصيل من خلال ما يأتي :

أولا: العدوى وإشكالية الإثبات والنفي :

وردت في قضية العدوى إثباتا ونفيا أحاديث ونصوص متعارضة في الظاهر، كحديث أبي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[16] ففي هذا الحديث نفي للعدوى، ودعوة إلى الفرار من المصاب بمرض الجذام المعدي، وهو ما يجعله من الأحاديث المشكلة التي تحتاج إلى تفسير وبيان، بسبب التعارض الظاهري بين ما نفاه من العدوى وما دعا إليه من الفرار من الشخص الحامل للمرض المعدي، ومما يزيد في إثبات قضية العدوى حديث مسلم الذي يذكر فيه الراوي فعل النبي ﷺ في التوقي من المجذوم وعدم مخالطته، حيث روى عن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ«إنا قد بايعناك فارجع»[17]

ولكن روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه من طريق أخرى أن النبي ﷺ قد تناول الطعام مع مجذوم، بل وتعمد وضع يده في الطعام والأكل منه بعد ذلك، والحديث كما رووه جميعا عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ فِي القَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ : كُلْ بِسْمِ اللهِ، ثِقَةً بِاللَّهِ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ"[18].

كما روي أن السيدة عائشة أم المؤمنين قَالَتْ: «كَانَ لِي مَوْلًى مَجْذُومٌ، فَكَانَ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِي وَيَأْكُلُ فِي صِحَافِي، وَلَوْ كَانَ عَاشَ كَانَ عَلَى ذَلِكَ»[19]

ولقد امتدت هذه الإشكالية إلى زمن الصحابة وذلك حين اختلفوا في أمر الطاعون الذي أصاب الشام، وما كان اختلافهم إلا بسبب اختلاط مقامات الأسباب بمقامات التوكل لديهم[20]، فعن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أنه سمع أبا هريرة يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى» ويحدث مع ذلك «لا يورد الممرض على المصح»[21]

كما روى البخاري عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال

بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف – وكان متغيبا في بعض حاجته – فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[22]

لقد وقف العلماء أمام هذه النصوص مليا، وتعاملوا معها بأسلوب الجمع والإعمال لها دون نفي أو إقصاء، وجاءت إجاباتهم مشتملة على جملة من الفوائد المعرفية والتربوية، وقبل بيان هذه الفوائد نشير إلى نقطة نحسبها في غاية الأهمية، وهي أنه يستحيل نفي وجود العدوى من الناحية الطبية، لأن ذلك سيؤدي إلى التصادم بين تعاليم الدين ومعطيات العلم، خاصة بمعطيات العصر الذي نعيش فيه، حيث قطع الطب أشواطا ضوئية بالنظر إلى ما كان عليه في عصر التنزيل، وحيث صار الملايير من البشر يطعّمون أولادهم منذ الولادة ضد الأمراض المعدية، ولا يستبعد أن تسفر أزمة كوفيد 19 عن اختراع لقاح عالمي يستعمله الناس في كل أرجاء المعمورة ويكلف خزينات الدول مبالغ ضخمة لاستيراده وتطعيم شعوبهم ضده، وبالتالي فإن ما سنعرضه من فوائد معرفية وتربوية من الأحاديث والآثار التي تحدثت عن العدوى وأسبابها، لا نهدف من ورائها معاكسة الواقع بقدر ما نهدف إلى مسايرته وملامسته بما يخدم عقيدة التوحيد المتسمة بالمرونة والمعقولية، وهذه بعض الفوائد والتوجيهات التي ذكرها العلماء على سبيل الجمع بين النصوص المتعارضة ظاهريا، وعلى سبيل المقاربة مع معطيات العلم الحديث في مجال الدراسات الوبائية والأمراض المعدية :

1/ قالوا أن التعارض الظاهري في النصوص جاء بسبب تعدد مقاماتها واعتباراتها، فالمقام الذي أُثبتت في العدوى غير المقام الذي نُفيت فيه، فالعدوى المنفية هي ما كان يعتقده أهل الجاهلية من العدوى بالطبع، وعدم التسليم بقدرة مسبب الأسباب، وأما المثبتة فهي ما أجراه الله بحكم العادة من حدوث العدوى عند بعض الأمراض، كما أجرى عادته في ربط كل الأسباب بمسبباتها كربط الاحراق بالنار والبلل بالماء، فهما مقامان مختلفان ولذلك جاز أن يثبت في أحدهما ما تم نفيه في الآخر، فإذا تعددت الاعتبارات اجتمعت المتناقضات، ونظير هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال، 17] حيث جمع في الآية نفي الرمي وإثباته، ولولا تعدد المقامات واختلاف الاعتبارات لقلنا أن في الآية تعارضا، لكن الرمي المثبت هو حمل النبي ﷺ لحفنة التراب وإلقائها نحو المشركين في المعركة، وأما الرمي المنفي فهو إيصال ذرات التراب إلى أعين المشركين ووجوههم والذي كان بقدرة الله وفعله. ومن هذا المنطلق ينبغي على المسلم أن يعتقد أن هذه الأمراض المعدية ومنها وباء "كوفيد 19"، هي أمراض تملك خاصية الانتقال من شخص إلى آخر كما أثبت الواقع ومعطيات الطب والدراسات الوبائية، ولكن مع ذلك ينبغي أن يعتقد مع ذلك أن هذه العدوى ما وقعت إلا بإذن الله كما قال الله عز وجل عن تأثير السحرة : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة : 102] قال الطبري في معنى الآية أن هؤلاء السحرة لا يضرون بسحرهم أحدا من الناس إلا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضره . فأما من دفع الله عنه ضره، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرُّقى، فإن ذلك غير ضاره، ولا نائله أذاه[23].

وهذا الذي ذكره الطبري ينسحب على كل حوادث العالم الضارة منها والنافعة، وعليه فإن القاعدة العامة في هذا الباب أن ما وقع من حوادث في العالم قد أذن الله فيه وعلمه، وما لم يأذن الله فيه فلا يقع، فمن علم الله عز وجل أنه يصاب بالكورونا وأذن بذلك في الأزل أصيب، ولو كان في بروج مشيدة من وسائل الحماية والتعقيم، ومن أذن الله عز وجل أن لا يصاب بهذا الوباء، نجا منه بإذن الله ولو كان في بؤرته وعمقه، نسأل الله الحفظ والسلامة للأمة وللأسلاك الطبية والصحية خاصة، فهم القائمون مقام المدافعين لقدر الله بقدر الله، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة، 251]

2/ قالوا بأن الأحاديث الداعية إلى النفور من أصحاب الأمراض ليس بسبب العدوى وإنما بسبب جبلة النفس البشرية المطبوعة على النفور من المستقذرات وما يؤذيها فعَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: مَرَّ عَلَى مَجْذُومٍ فَخَمَّرَ أَنْفَهُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَلَيْسَ قُلْتَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ» ؟، قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنِّي أَقْذَرُهُمْ»[24] وقالوا تبعا لهذا الفعل من النبي ﷺ، أن اسْتِعْمَال الْأَسْبَابِ وَمُراعَاتها مُرَخَّصٌ فِيهَا إِذَا عَلِم المسلم أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهُوَ النَّافِعُ وَهُوَ الضَّارُّ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[25]، ويبقى تعلق الأمر بجبلة النفس البشرية المطبوعة على النفور من المستقذرات، وأن مخالطتها لهذه المستقذرات تنشأ عنه أمراض لا بسبب العدوى وإنما بسبب اضطراب النفوس وتأثر الوظائف الحيوية للجسم جراء هذا الاضطراب فيحدث مرضها بسبب ذلك، ومصداق هذا حديث النبي ﷺ عن فَرْوَةَ بن مُسَيْك أنّه قال : "يا رسولَ اللَّهِ أرضٌ عندَنا هي أرضُ رَيفنا ومِيرَتِنا وإنَّ وباءَها شديدٌ ؟ فقالَ: دَعْها عنكَ فإنَّ مِن القرفِ التلفَ"[26] .

3/ قالوا بأنه لا تعارض بين الأحاديث النافية للعدوى والأحاديث الداعية إلى تجنب المرضى خشية الإصابة بمرضهم، وسبب عدم التعارض تعدد الجهات المعنية بكل خطاب، فمن آنس من نفسه قوة الإيمان والاعتقاد بأن الله وحده هو الخالق النافع الضار فلا بأس إن خالط أصحاب العاهات والأمراض التي ظاهرها العدوى، وإن كان من ضعاف الإيمان وقليلي اليقين نصح بالابتعاد عنهم لئلا يظن بالله ظن السوء ويعتقد أن في الكون من ينفع أو يضر من دون الله عز وجل، ولهذا روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَوَضَعَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ وَقَالَ : "كُلْ بِسْمِ اللهِ، ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ"[27] قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : "وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ مَا رُوِيَ عَنْهُ من الْفِرَارِ مِنَ الْمَجْذُومِ، وَأَمْرِ الْمَجْذُومِ الَّذِي أَتَاهُ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ بِالرُّجُوعِ يُؤَكِّدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، فَيَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ فِيمَنْ يَكُونُ حَالُهُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَتَرْكَ الِاخْتِيَارِ فِي مَوَارِدِ الْقَضَاءِ، وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ فِيمَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَجْزَ عَنِ احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَيَحْتَرِزُ بِمَا هُوَ جَائِزٌ فِي الشَّرْعِ بِأَنْوَاعِ الِاحْتِرَازَاتِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ"[28] .

4/ قالوا بأن الأحاديث الداعية إلى الفرار من أماكن انتشار الأوبئة والأمراض، قد خرجت مخرج سد الذرائع، وما كان كذلك لم يكن النهي فيه أصليا بل بالتبع، وسد الذرائع في باب الأصول الإيمانية لا يختلف عنه في باب الفروع الفقهية، ولهذا قال صاحب سلم الوصول : "والجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما في معناها أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسول الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر ﷺ بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسما للمادة وسدا للذريعة لا إثباتا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ: "فمن أعدى الأول" يعني أن الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر[29] .

5/ قالوا أن نهيه ﷺ عن المخالطة لكونها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، وهنا تأتي نظرية المدرسة السنية الأشعرية في علاقة السبب بالمسبب، وعلاقة القدرة الحادثة بالفعل المنجر عنها، حيث قرر علماء الأشاعرة أنه (لا أثر للقدرة الحادثة في إيجاد المقدور) وأن أفعال العباد لا تستقل بالتأثير، وما نراه من تلازم بين الأفعال وآثارها لا يعدو أن يكون تلازما بحكم العادة، وأن الله عز وجل أجرى عادته في ربط الأفعال بآثارها كربط الاحراق عند وجود النار، وربط البلل والري عند وجود الماء ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئا، ونظرية السببية التي قال بها الأشاعرة دقيقة ومضبوطة من الناحية العلمية، كما أنها متناغمة مع مبدا التوحيد الإلهي، ولا يمكن أن يصنف قولهم في خانة الجبر المحض كما يتهمهم بذلك خصومهم، لسبب بسيط ودقيق، وهو التفريق بين بداهة الوجدان وبداهة التأثير، وقالوا –تبعا لذلك- أننا نعترف ببداهة ما يجده الإنسان من تفريق بين أفعاله الاختيارية وأفعاله الاضطرارية، وهو ما لا تعترف به الجبرية المحضة، ولكن ننكر بداهة تأثير الأفعال الاختيارية

في إيجاد مفعولتها، وننسب ذلك إلى مسبب الأسباب، في الوقت الذي ينسبه خصومنا من القدرية إلى المخلوقات[30] وسنتحدث في العنصر الموالي بشيء من التفصيل عن علاقة السبب بالمسبب في الإسلام من خلال المدرسية السنية الأشعرية، التي تمثل التيار الوسطي المعتدل بين تياري الجبرية نفاة الأسباب والقدرية نفاة القدر .

ثانيا: علاقة الأسباب بالمسببات في المدرسة السنية الأشعرية :

خلق الله عز وجل الكون من العدم، وأجرى عليه قانون التغير والفناء، وربط أوصاله بالسنن الكونية والأسباب العادية، وبذلك هيأه ليكون ساحة امتحان الإنسان بالتسخير والارتفاق، ومنذ اللحظة الأولى التي نزل فيها الإنسان إلى الأرض، شرع في التعامل مع ما فيها من صعب وسهل وفقا للقانون الذي أجراه الله عز وجل، والذي أشار إليه القرآن الكريم في عدة آيات بينات، وهو قانون السببية القائم على مبدأ العلاقة بين عناصر الكون المختلفة المادي منها والمعنوي، والبسيط والمعقد، والحقير والجليل، وكل ذلك في إطار الاعتقاد بأن الكل من الله خلقا وتدبيرا وتقديرا، وإن كان الظاهر أن ذلك من فعل الكون ومكوناته، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[31] وقال أيضا: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ [الزمر، 62] وإزاء هذا الواقع وجد الإنسان نفسه أمام إشكالية ثلاثية الأقطاب، بسبب الغموض الذي اعترى تفكيره وجعله يراوح مكانه المعرفي بين هذه الأقطاب الثلاثة :

1/ الله خالق كل شيء

2/ القيم الذاتية في الأشياء الموجودة في الكون (الإحراق في النار، البلل في الماء، التيار في الكهرباء، المطر في السحاب، الشبع في الطعام، المرض في الفيروسات والميكروبات...)

3/ الإنسان مخلوق متحرك بالإرادة وفاعل بالاختيار والاضطرار، وبين مقامي الاختيار والاضطرار، وقعت مرافعات كلامية ومعارك فكرية، منذ أن عقل الإنسان نفسه وشرع في التأمل والتفكير فيها وفيما حوله إلى يوم الناس هذا، وهي تلقي بظلالها اليوم على موضوع الساعة (كوفيد 19)، وقد ترتب عنها ما ترتب عن المعارك الفكرية السابقة من انقسام الناس إلى فصائل معرفية متعددة، سواء فيما تعلق بحدود المسؤولية البشرية في وجود الفيروس، أو ما تعلق بحدود القيمة الذاتية للفيروس وقدرته على العدوى .

لقد أثار فيلم "العدوى" (contagion) الكثير من اللغط وأسال حبرا كثيرا، حول قوة الانتشار الذاتي للفيروس، مع إمكانية الحرب البيولوجية والمسؤولية الأخلاقية للإنسان وراء ظهور هذا الفيروس، وقد عرضته السينما الأمريكية سنة 2011م، وهو الفيلم الذي يتحدث عن انتشار وباء عالمي في القرن الواحد والعشرين بسبب فيروس مجهول وقاتل ينتقل في الهواء وعبر اللّمس بسرعة جنونية، ويقتل المصاب به في عدة أيام، الأمر الذي يصيب العالم بالرعب، ويحاول الأطباء السيطرة على الفزع والخراب الذي يعم الأرض، ولكن دون جدوى.[32] هذا الوضع الذي تحدث عنه الفيلم، والذي له علاقة بواقع الحال، يدفعنا إلى التساؤل عن حدود القيمة الذاتية للأشياء وعن حدود المسؤولية الإنسانية فيما يشهده العالم من دمار وتخريب، في الوقت الذي نقر فيه ونعتقد أن ما يحدث في الكون بأسره لا يخرج عن إرادة الله عز وجل وعلمه وإذنه ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ .[33]

قال ابن تيمية : "ومعلوم أنه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علة تامة وسبب تام للحوادث؛ بمعنى أن وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا إلا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأما الأسباب المخلوقة كالنار في الإحراق والشمس في الإشراق والطعام والشراب في الإشباع والإرواء ونحو ذلك فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده بل لا بد من أن ينضم إليه سبب آخر"[34] وبالتأمل في قوله "لا بد من أن ينضم إليه سبب آخر" يجعلنا نتوقع أن هذه المقاربة لتأثير قدرة العبد في مقدوره هي التي تحدث عنها السادة الأشاعرة قبل ابن تيمية في قولهم بالكسب القائم على مبدأ السببية الناقصة، هذا المبدأ الذي ينفي وجدان بداهة أثر القدرة الحادثة في إيجاد المقدور، ووجه الاتفاق بين المقاربتين أن الجميع مقر بكون الأسباب لا تؤثر بذاتها ولا تفضي إلى مسبباتها من تلقاء ذاتها، ولهذا نرى أن ما أحاط قدرة الفيروس على الانتشار والتأثير من زخم إعلامي من خلال فيلم العدوى أو من خلال واقع الإعلام الإقليمي أو الدولي المتابع لتطورات فيروس كوفيد 19، هذا الزخم لم يكن لينعكس بصورة إيجابية على معتقدنا في مسألة إعطاء الأسباب قيمتها الحقيقية بعيدا عن التهوين أو التهويل، ولهذا فإني أعتقد أننا ابتعدنا قليلا أو كثيرا، شعرنا بذلك أم لم نشعر عن التصور الصحيح لعلاقة الأسباب

بالمسببات في العقيدة الإسلامية، وقد انعكس ذلك بصورة جلية على جملة تصرفاتنا وردود أفعالنا إزاء جائحة كوفيد19، وهو ما يجعلنا بحاجة ماسة إلى التذكر والتذكير المستمر بأننا ملزمون بتعاليم العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بعلاقة الأسباب بالمسببات، وأن ينعكس ذلك على سلوكنا فلا يميل إلى اللامبالاة وإسقاط التكاليف ولا إلى التهويل من أمر الفيروس إلى درجة الرهبة التي وصفها القرآن الكريم في قول الله عز وجل: ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [التوبة، 9]، وبين رذيلتي التهوين والتهويل، تقع فضيلة التوكل التي وردت بها عقيدة التوحيد بإزاء اتخاذ الأسباب الشرعية، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[35] .

إن ما ينبغي علينا اعتقاده في ظل مبدأ السببية الناقصة أن تأثير الفيروس موقوف على إعطاء الله له قوة التأثير، ثم تفعيل هذه القوة أو تعطيلها بحسب الأزمان والأحوال والأشخاص، والقاعدة المتينة في هذا الباب أن " الموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء"[36]

ولكن مع ذلك ينبغي على المواطنين الالتزام بالتدابير الوقائية التي فرضتها الدولة في ظل ما قرره العلماء المتخصصون من إجراءات تحفظ للناس سلامتهم وأرواحهم بإذن الله، لأن هذا الالتزام يمثل عند المسلم فرارا من القدر إلى القدر، وهو يشكل عنده حلقة الوصل بين عالم الأمر وعالم الفعل، التي تجعل المسلم بين ثلاثة مشاهد كلها حق: مشهد الإيمان بالقدر، ومشهد المقادير مقدرة بأسبابها ومشهد المقادير مجردة عن الأسباب بقدرة مسبب الأسباب، كما شهد نارا بلا إحراق مع الخليل إبراهيم، وولدا بلا والد مع البتول مريم، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وكما شهد شبعا بلا طعام[37]، ونوما بلا نوم[38] مع نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكما يشهد يوميا أشجارا مثمرة بلا ثمار، وأزواجا بآلات سليمة بلا أولاد وهلم سحبا... فإن من شهد هذه المشاهد الثلاثة كان إيمانه تاما يقينيا، ومن قصر كان إيمانه ناقصا بقدر التقصير، مصداق كل هذا ما ورد في السنن عَنْ أَبِي خِزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»[39] .

خاتمة :

أحمد الله عز وجل أن وفقني لإتمام هذا البحث، والذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه للإجابة على الاشكالات المعرفية والتربوية الواردة فيه، وقد خلصت في نهايته إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

1/ الهدف من عرض موضوع كورونا فيروس "كوفيد 19" من وجهة نظر الدين ممثلا في عقيدة الإسلام التي يدين بها الشعب الجزائري، هو الزيادة من درجة استعداد المجتمع للالتزام بحزمة التوجيهات الإعلامية والتشريعات القانونية والقضائية والاقتصادية، التي تتخذها الدولة الجزائرية من أجل السيطرة على الفيروس والحفاظ على صحة الجزائريين وأرواحهم، بوصفها توجيهات وتشريعات متناغمة مع مقاصد الدين وأحكامه .

2/ الاستهتار بأمر الفيروس استنادا إلى نصوص تشريعية أمر باطل، لأن الاستدلال بالنصوص في غير سياقاتها يندرج في إطار الاستدلال بالحق لإرادة الباطل، وما كان كذلك فهو باطل .

3/ ما أقرته الدولة من قوانين وما فرضته من إجراءات للحفاظ على سلامة المواطنين وأرواحهم له ما يسوغه من الناحية الدينية، ويبقى اجتهاد العلماء في إصدار الفتاوى المتعلقة بإغلاق المساجد وتوقيف الجمع والجماعات محكوما بغلبة الظن، وإن كنت أميل إلى إعادة النظر في المسألة بإشراك عدد أكبر من الدكاترة والعلماء المتخصصين، فربما كانت هناك حلول أفضل من الإغلاق الكلي .

4/ يعد الحفاظ على النفوس البشرية من المقاصد الضرورية التي جاء الدين لحفظها، بما شرعه من أحكام يؤدي الالتزام بها إلى صيانة نفوس الناس ماديا وتزكيتها معنويا، ومن صور هذه الصيانة الأمر باتباع أوامر وتوجيهات أهل الاختصاص من الأطباء والصيادلة فيما يخص سلامة البدن وحمايته من الأوبئة والأمراض، وأن هذه التوجيهات تدخل ضمن الأسباب المشروعة .

5/ إن ما رأيناه من صور التضامن الاجتماعي بين أبناء الجزائر من أقصاها إلى أقصاها، يعود إلى ما بنته عقيدة التوحيد في نفوسهم من قيم اجتماعية نبيلة، نلتمسها في الشعور الاجتماعي الموحد كوحدة الجسد الذي إذا تألم فيه عضو سرى الألم إلى باقي الأعضاء، فتتداعى له بالسهر الحمى، ونفهم أن مصيبة هذا الفيروس لم تكن شرا محضا على الجزائريين وعلى غيرهم من أبناء الأمة

الإسلامية بما أذابته من روابط عرقية وجهوية ونَسَبية، تلك الروابط التي انصهرت –بفضل الفيروس– في بوتقة الجزائر الموحدة بوحدة العقيدة والوطن .

6/ لا تنافي بين وظيفة الإنسان في الأرض ووجود الشرور والمصائب بما فيها الأمراض والأوبئة، بل الحق أن فيها كثيرا من الحكم الجليلة سواء علمها الناس أو جهلوها، كما أنها تعد جزءا من وظيفة الإنسان، لأن كل وظيفة لا بد لها من المعوقات وأسباب التعب، وهذه المعوقات وإن كانت في ظاهرها شرورا إلا أنها ليست شرورا محضة، لما فيها من فوائد عظيمة للإنسان، في عاجله وآجله، وكم أسفرت الأمراض عن عوافي وقوى في الأبدان، وكم أسفرت فياضانات الوديان والأنهار عن جنان وأراض خصبة .

7/ قرر العلماء في مقام البيان الخاص بعلاقة الخير بالشر وصلة هذه العلاقة بالوظيفة الوجودية للإنسان قاعدة مفادها أن ارتكاب الشَّرّ الْيَسِير رِعَايَة للخير الْكثير خيرٌ كثير، ومن منطلق هذه القاعدة تم التعامل بحكمة منقطعة النظير مع كثير من المصائب والمشكلات التي تعتري حياة الناس بالبحث عن حلول لها من منطلق الموازنة بين قيمتي النفع والضر، ومما اجتهد فيه العلماء اليوم قضية إغلاق المساجد أمام روادها من المصلين بسبب جائحة كورونا، حيث تمت الموازنة بين ارتكاب أهون الشرين لتحقيق أعلى المصلحتين، فلما كان الابقاء على المساجد مفتوحة ذريعة لحصول مفاسد العدوى بفيروس كورونا، فقد صدرت الفتوى بإغلاقها حفاظا على سلامة المصلين وأرواحهم .

8/ تضاربت مواقف الناس إزاء نصوص تشريعية تتعلق بالأحكام القيمية والذاتية في الأشياء التي خلقها الله عز وجل، وقد شكلت قضية العلاقة بين السبب والمسبب محور جدلية معرفية بدأت فصولها مع بداية خلق الإنسان ولم تنته إلى يوم الناس هذا، وها هي تلقي بظلالها على موضوع الساعة، وباء "كوفيد 19" الذي تضاربت حوله الآراء عند جملة من القضايا الفقهية والتشريعية التي يرتبط جانبها النظري بالبعد العقدي والإيماني، كإشكالية ثبوت العدوى من عدمها بين المرضى والأصحاء، وانعكاس ذلك على تصرفات الناس وسلوكياتهم المتباينة إزاء الموضوع .

9/ النصوص الواردة في أمر العدوى بالإثبات والنفي، نصوص صحيحة، وقد تعامل معها العلماء بأسلوب الجمع والإعمال لها جميعا، وذكروا لهذا الجمع صورا متعددة منها تعدد مقامات الخطاب، وسد الذرائع العقدية، وأن الأمراض المعدية ومنها وباء "كوفيد 19"، هي أمراض تملك خاصية الانتقال من شخص إلى آخر كما أثبت الواقع ومعطيات الطب والدراسات الوبائية، ولكن مع ذلك ينبغي أن يعتقد أن هذه العدوى لا تقع ولا تؤثر إلا بإذن الله .

10/ القاعدة العامة في باب العدوى وغيرها من الحوادث، أن ما وقع من حوادث في العالم قد أذن الله فيه وعلمه، وما لم يأذن الله فيه لا يقع، فمن علم الله عز وجل أنه يصاب بالكورونا وأذن بذلك في الأزل أصيب، ولو كان في بروج مشيدة من وسائل الحماية والتعقيم، ومن أذن الله عز وجل أن لا يصاب بهذا الوباء، نجا منه بإذن الله ولو كان في بؤرته وعمقه، كالأطباء وعمال الصحة حفظهم الله .

11/ ما نراه من حصول العدوى بين المصابين والأصحاء يندرج ضمن الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، وهنا تأتي نظرية المدرسة السنية الأشعرية في علاقة السبب بالمسبب، وعلاقة القدرة الحادثة بالفعل المنجر عنها، حيث قرر علماء الأشاعرة أنه " لا أثر للقدرة الحادثة في إيجاد المقدور" وأن أفعال العباد لا تستقل بالتأثير، وما نراه من تلازم بين الأفعال وآثارها لا يعدو أن يكون تلازما بحكم العادة، وأن الله عز وجل أجرى عادته في ربط الأفعال بآثارها كربط الاحراق عند وجود النار، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئا، وهذا الذي يفسر لنا سريان العدوى بمرض "كوفيد 19" في بعض الأشخاص دون بعض، مع أنهم في مكان واحد .

12/ إن ما ينبغي علينا اعتقاده في ظل مبدأ السببية الناقصة أن تأثير الفيروس موقوف على إعطاء الله له قوة التأثير، ثم تفعيل الله عز وجل لهذه القوة أو تعطيلها بحسب الأزمان والأحوال والأشخاص، والقاعدة في هذا الباب أن " الموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء"، ولكن مع ذلك ينبغي على جمهور الأمة الالتزام بالتدابير الوقائية التي فرضتها الدولة في ظل

ما قرره العلماء المتخصصون من إجراءات تحفظ للناس سلامتهم وأرواحهم بإذن الله، لأن هذا الالتزام يمثل عند المسلم فرارا من القدر إلى القدر، وهو يشكل عنده حلقة الوصل بين عالم الأمر وعالم الفعل، التي تجعل المسلم بين ثلاثة مشاهد كلها حق : مشهد الإيمان بالقدر، ومشهد المقادير مقدرة بأسبابها ومشهد المقادير مجردة عن الأسباب بقدرة مسبب الأسباب .

الهوامش :

[1] تسمى المقاصد الضرورية الخمسة وهي التي لم تخل من رعايتها ملة من الملل ولا شريعة من الشرائع، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. [الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، 3 /274 .

[2] ابن ماجه، عن عبادة بن الصامت، باب من بنى في حقه ما يضر، رقم 2340 وهو صحيح لغيره

[3] رواه أبو داود، باب الأدوية المكروهة، وهو حديث صحيح لغيره

[4] رواه البخاري، باب: "ذات الجنب" رقم الحديث5719

[5] ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379، 133/10

[6] ابن الوزير محمد بن إبراهيم (ت840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.3، 1415هـ - 1994م، 6 /137، 141

[7] البخاري، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم5641

[8] الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص231

[9] مسلم، باب الدعاء في صلاة الليل، رقم771

[10] النووي يحيى بن شرف(ت676هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط.2، 1392، 59/ 6

[11] الغزالي أبو حامد (ت505هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط.1، 1424هـ - 2004م، ص50 .

[12] الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ص65

[13] الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، مرجع سابق، ص231

[14] ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ، 1969م، 3/ 326

[15] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1412 هـ - 1992 م، 18/16

[16] صحيح البخاري، باب الجذام، رقم 5707

[17] صحيح مسلم باب اجتناب المجذوم وغيره رقم 2231

[18] رواه الترمذي، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، رقم 1817، ورواه أبو داود، باب الطيرة، رقم3925، ورواه ابن ماجة في سننه، باب الجذام، رقم 3542

[19] أبو بكر بن أبي شيبة (ت235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط.1، 1409، 5 /142

[20] ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، 10 /185

[21] مسلم، باب لا عدوى ولا طيرة رقم: 2221

[22] البخاري، باب ما يذكر في الطاعون، رقم 5729

[23] أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ - 2000 م، 2 /449

[24] أبو بكر بن أبي شيبة (ت235هـ)، الأدب لابن أبي شيبة، المحقق: د. محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية، لبنان– بيروت، ط.1، 1420هـ - 1999م، ص221

[25] أبو بكر البيهقي، الآداب للبيهقي (ت458هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط.1، 1408هـ - 1988م، ص146

[26] أخرجه أبو داود في السنن 4/ 238 - 239، كتاب الطب (22)، باب في الطيرة (24)، الحديث (3924) واللفظ له، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى 8/ 140، كتاب القسامة، باب العيافة والطيرة.

[27] أخرجه أبو داود في السنن 4/ 239، كتاب الطب (22)، باب في الطيرة (24)، الحديث (3925) واللفظ له، وأخرجه الترمذي في السنن 4/ 266، كتاب الأطعمة (26)، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم (19)، الحديث (1817)، وأخرجه ابن ماجه في السنن 2/ 1172، كتاب الطب (31)، باب الجذام (44)، الحديث (3542)،

[28] أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط.1، 1423هـ - 2003م، 2 /489

[29] حافظ بن أحمد الحكمي (ت 1377هـ)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط.1، 1410هـ - 1990 م، 3 /985، 988

[30] مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ص54

[31] الصافات، 96

[32] https://diko.egybest.org/movie/contagion-2011/?ref=search-p1#download

[33] التكوير، 29

[34] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ)، مجموع الفتاوى 8 / 133

[35] أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رقم 2517

[36] فخر الدين الرازي (ت606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.3، 1420هـ، 31 /71

[37] عن عائشة رضي الله عنها، قالت: نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني» متفق عليه

[38] عن عائشة: قلت يا رسول الله: أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» متفق عليه

[39] الترمذي، باب ما جاء في الرقى والأدوية، رقم 2065، ابن ماجه، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم3437 .

قائمة المراجع :

01- ابن أبي شيبة أبو بكر (ت235هـ)، الأدب لابن أبي شيبة، المحقق: د. محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط.1، 1420هـ - 1999م

02- ابن أبي شيبة أبو بكر(ت235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط.1، 1409هـ.

03- ابن الجوزي أبو الفرج (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1412 هـ - 1992م

04- البيهقي أبو بكر، الآداب للبيهقي(ت 458هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط.1، 1408هـ - 1988م، ص146

05- البيهقي أبو بكر(ت 458هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط.1، 1423هـ - 2003م

06- الحكمي حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط.1، 1410هـ - 1990م .

07- الرازي فخر الدين (ت606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط.3، 1420هـ

08- الطبري أبو جعفر (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ - 2000م .

09- ابن الوزير محمد بن إبراهيم (ت840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.3، 1415هـ - 1994م

10- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ، 1969م

11- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1379هـ
الإبراهيمي أحمد طالب، آثَارُ الإمَام مُحَمَّد البَشِير الإبْرَاهِيمِي، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997

12- الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، (د.ت.) .

13- الآمدي سيف الدين (ت631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (د.ت.)

14- الغزالي أبو حامد (ت505هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط.1، 1424هـ - 2004م

15- النووي يحيى بن شرف (ت676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط.2، 1392هـ .